الصحاري المصرية بين السحر والجمال
التراث والثقافة في الحياة البدوية

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

obeikandl.com

الصحاري المصرية بين السحر والجمال
التراث والثقافة في الحياة البدوية

إعـــداد
دكتورة ناهد نصر الدين عزت
أستاذ علم الجمال

obeikandi.com

مقدمة:

كان للعرب من قبل كالمقريزي والمسعودي واليعقوبي وأبو الفداء وغيرهم شرف الأولوية في ارتياد الصحاري والمعرفة بمجاهلها مستهدفين لأخطارها في وقت لم يعرف عنها غيرهم إلا النزر اليسير وكانت هذه الصحاري ولا تزال حجاباً مقفلاً وسراً مجهولاً مهماً قال عنها العارفون فالصحراء هدوءها وللرمال المنبسطة سكونها ولتلك الجبال الشامخة عظمتها ولتلك الصخور الجرانيتية تعدد ألوانها من حمراء قانية إلى زرقاء صافية ومن صفاء سمائها ولمعة نجومها وضيائها خلال لياليها الساحرة ثم من جفاف هوائها وطلاقته ومن اتساع أراضيها وفراغها ومن سكينة القفار وهدوئها عوامل تلفت نظر المسافر وتجلب الرواد وتجذبهم نحو ارتيادها وتشوق الإنسان إلى غزو الطبيعة فيشعر في نفسه بانبساط وارتياح لا يشعر بهما في حياة المدن وليس الموجود ببلادنا من الصحاري الحقيقية بمعناها المفهوم كتلك الصحاري المقفرة وكثبان الرمال الخالية من الماء والنبات ولكن صحراءنا بها الآبار الكثيرة المتقاربة والواحات المتعددة اليانعة التي تحبب الإنسان إلى ارتيادها

والتمتع بمناظرها بشوق مهما كلفه الشوق من مشقة وعناء أما ساكنوها من البدو وما فطروا عليه من البساطة في المعيشة والسهولة في التعبير يعطينا فكرة حقيقية عن حالة هؤلاء القوم ويصور لنا سر عظمتهم وبساطة حكمهم وسلامة شرائعهم كما يفسر لنا ذكاؤهم وبعد نظرهم في معرفة النجوم واتجاهها وهبوب الرياح وعلاماتها وأوقاتها مما يجعلهم سادة هذه الصحاري وأدلتها وقد كان الناس يعولون في الماضي في اجتياز الصحراء على الجمل وهو مركب الصحراء لطبيعته وتكوينه في المقدرة على احتمال العطش ومشقة السير ولا يزال استعماله ضرورياً في بعض بقاع تلك الصحراء فلما شاع استعمال السيارات ازداد افتتان الناس بارتياد الصحراء وقد بلغت صناعة السيارات هذا الحد من الاتقان فقد أصبحت الراحة فيها أمراً سهلاً وفي متناول كل فرد له إلمام بسيط بالإصلاحات الضرورية ولا يخفى أن استخدام السيارات بالصحراء له من المزايا واللذة ما ينسي المرء التعب ومن المناظر الساحرة والهدوء مالا يجده المسافر أثناء سيره في المدن العادية وفي الوقت الحاضر فإن ما تبذله الحكومة بصفة خاصة من

التحسينات المستمرة في تهذيب طرق الصحراوات وتمهيدها وشقها وتعديلها ومن إقامة علاماة الطرق وتحديد اتجاهها ومسافاتها في وسط مجاهل هذه الصحاري جعلت السير فيها أمراً سهلاً وفي متناول كل فرد له إلمام بسيط بالإصلاحات الضرورية للسيارات أما الأمن موفور جداً في جميع نواحي هذه الصحاري شرقاً وغرباً ويقوم سلاح الحدود بالمحافظة بشدة على الأمن والسهر على راحة المسافرين كما أن حب الضيافة والمروءة طبيعة كل عربي يلقاك ويقوم بخدمتك لا يريد جزاء ولا شكراً وتحتل هذه الصحاري جزءاً كبيراً من مساحة حوالي ٩٥% ولكن من هذه الصحاري تكوين عجيب تختلف عن الأخرى في كثير من النواحي وكل منها جدير بالسياحة والزيارة بينما في الشرق توجد الجبال والوديان والآبار والمناجم ففي الغرب تجد الأراضي المسطحة والمنخفضات العظيمة وكثبان الرمال المتنقلة والواحات الخضراء اليانعة ذات عيون المياه المتفجرة ولله في خلقه شئون وسنتكلم عن كل منها باختصار.

جاذبية الصحراء

إن ضجيج المدن وحياتها الصاخبة تدفع الإنسان للهرب منها بحثاً عن حياة أكثر هدوءاً وسكوناً ولن يجدها إلا في الصحراء وتعتبر الصحروات المصرية من المناطق المجهولة إلا للقليلين سواء من المقيمين فيها أو الوافدين عليها.

فالنيل ينساب في مجراه تحوطه من الجانبين أراض جميلة خضراء كبستان جميل وتحف هذا الشريط الأخضر الجميل من جهة الشرق سلاسل من التلال كسور مرتفع تمتد وراءه الصحراء ويجهل الإنسان ما وراء هذه التلال ويتطلع لمعرفة ما وراء هذا المجهول من الصحراء ومما لا شك فيه أن هذه الصحراء تحوي الكثير من المشاهدات والأشياء التي تحتاج إلى دراسة وإمعان. ومن الحق اليقين أن الإنسان يجد نفسه في عالم آخر وألوان غريبة من ألوان الحياة وأمور تستحق الدراسة والتأمل العميق وفي الماضي البعيد كان المعروف عن هذه الصحراء أنها موطن للمعادن والذهب والنحاس والأحجار الكريمة من زبرجد ومرجان وبها المقالع والمحاجر للصخور والجرانيت والرخام

والمرمر الامبراطوري متعدد الألوان من سوداء وزرقاء وحمراء، وكانت تخترقها طرق القوافل التجارية شرقاً وغرباً قادمة من بلاد البونت محملة بالتوابل والعطور وكانت جيوش المصريين القدماء والرومان تجتازها غازية أو متنقلة للغزو أو لحراسة الأسرى المشتغلين بالمناجم البعيدة أو مقالع الأعمدة والأحجار المرمرية الإمبرطورية التي تزين المعابد الرومانية وهياكلها.

الرحلة في الصحراء

يخرج الرواد راحلين في هذه الصحراء بقلوب ملؤها الأمل والإيمان تظللهم أشعة الشمس من كل جانب وتلفح وجوهم فإذا جاءت الظهيرة تلفتوا يميناً وشمالاً بحثاً عن ظلال صخرة أو ركن أحد الوديان لقضاء الظهيرة حماية من هجير الصحراء ولفح السموم وفي الصحراء تهب الرياح النقية المنعشة والنسيم العليل حتى يخال الإنسان أن هذه الرياح الحلوة آتية رأساً من السماء لم تمسها الأرض ولم تمر على غبار.

ويجلس الإنسان لقضاء الظهيرة وحوله بقاع متسعة وصفاء في الجو.

طبيعة الأرض: ويحوط الإنسان مجموعات من الأشياء الجميلة والجرانيت ذي الألوان الخلابة والحصى والزلط الأبيض وأحجار الكلس الصفراء وقطع المغراء الأرجوانية ومسطحات من الميكا اللامعة الشفافة وقطع الحمست (أحجار بلون العقيق) الحمراء وأحجار المرمر الجميلة ويستمر الرحالة في السير بعد الظهيرة ويلمح الإنسان في الأفق البعيد منظراً فريداً للسراب وللجبال الجرانيت وسريعاً ما تبدأ الشمس في الهبوط وتفقد قوة نورها ويأخذ لهيبها في الخمود وتتحول أشعتها إلى خيوط ذهبية جميلة تبسطه السماء على أرجاء الجبال والصحراء فإذا جن الليل وليل الصحراء جميل كنهارها ولو أنه في الشتاء قارص البرد لكن غطاء ثقيلاً من الصفوف يمكن الإنسان من النوم منعما في الخلاء.

ولن يشعر بجمال الليل وهناء النوم إلا الذين ذاقوا لذة النوم فعلاً في هذا الخلاء المتسع تحت قبة السماء الزرقاء المرصعة بالماس والجواهر البراقة من النجوم والكواكب لو أدار الإنسان نظره نحو الشرق لشاهد كوكب المريخ بإحمراره الخفيف مطلاً فوق جزيرة العرب وإذا استدار نحو

الغرب لرأى كوكب المشتري يتأجج فوق صحراء ليبيا وهكذا يسبح العقل في أحلام جميلة يحل بعدها نوم هادئ جميل فإذا عسس وحل الظلام وبزغ القمر ناشراً ضوءه الفضي الجميل على ربوع الصحراء وسلاسل الجبال فهناك يسبح النظر في بحر من الأحلام ناظراً إلى هذه الإنحاء الفسيحة من الأراضي وقد امتد على أطرافها سراب غامض كالفضاء ممتد بلا نهاية نحو الأفق البعيد فإذا تنفس الفجر وحلت تباشير الصباح وأشرقت الشمس بنور ربها متهادية خلف التلال القريبة عندها تظهر بألوانها الخفيفة الجميلة المحببة إلى النفس لحظات بسيطة يزداد بعدها نور الشمس سطوعاً باسطاً ذراعية وأضواءه الذهبية على كل كائن في الصحراء عندها يبدأ الرحيل ويسير الإنسان في وديان متلوية تحوطها سلاسل من الجبال الشامخة الجرانيتية المتعددة الألوان أو أحجار الرخام السماقي الإمبراطوري وكلها كالأبراج الشامخة والدعامات المركزة في القلاع العظيمة التي تقرأ عن وصفها في القصص الخرافية القديمة وتأخذ الشمس في المغيب وتنعكس أشعتها على هذه القمم الشامخة وتكسوها لوناً ارجوانياً كخد الحسناء

وتبدو قمم الجبال شاخصة وكأنها تتضرع بالشفاعة بين الأرض والسماء. وتخيم على الوديان ذيول الظلام وكلها مجد وبهاء وهي أمور لا يشاهدها الإنسان في غير هذه الأرجاء وتنتشر في هذه الوديان أشجاء الأثل والرثم وبعض الأعشاب مما يصلح للوقود لإعداد الطهي أو صنع الشاي وقد يسعدك الحظ باصطياد غزال أو بعض الأرانب البرية فتتمتع بوجبة شهية بعد طول السفر والعناء. وقد تلقي برحالك قريباً من إحدى الآبار المنتشرة في الصحراء وتنهل من مائها العذب الحلو المذاق فتأخذ منها حاجتك وتملاء خزانات مياهك ويصادفك أحياناً بعض البدو الذين يقيمون عادة قريبين من آبار المياه أو في بطون الوديان لرعي الماعز والأغنام وهم قوم فطروا على البساطة في المعيشة والسهولة في التعبير اشتهروا بحب الضيافة والكرم فالق إليهم التحية وجاذبهم الحديث وستلقى منهم دائماً كل ترحيب وجميل لقاء وفي الصحراء نشط المصريون والرومان في التعدين فإينما تسير فيها تعثر على مناجم قديمة مهجورة وتلمس مدى نشاط القدماء في هذه الحياة فهذا منجم للذهب وذاك محجر قديم لأعمدة الجرانيت

والرخام ومنجم آخر للزبرجد والفيروز والساحل مليء بالمرجان وتعثر على آثار مدائن قديمة وقلاع ومحطات لإقامة الحراس من الجنود والأسرى من العمال وحتى على سفوح الجبال تشاهد الكتابات القديمة من مصرية وأفريقية ورومانية تحكي لك قصصاً مثيرة وروايات وعلى شاطئ النيل مدائن قديمة أثرية ويقابلها أخرى على ساحل البحر الأحمر ويصل بينها وديان تسير عرضاً من الغرب إلى الشرق والسائر في هذه الوديان ينتابه شعور الفنان بجمالك تلك المناطق حيث مدن قدماء المصريين وهناك المعابد والأديرة كدير سانت أنطوان ودير سنات بول ومعبد أدفو ومعبد العباد ومدائن ومراس قديمة أمام مدائن النيل كالزعفرانة تقابل بني سويف ورأس غارب شوق ألمنيا والغردقة شرق أسيوط وسفاجا شرق قنا والقصير شرق فقط ومرسى على شرق أدفو بزنيس شرقي أسوان ومرسى مبارك ومرسى حلايب وغيرها.

مما يجعل للصحراء جاذبية وفتنه وفي هذه الجبال الساكنة ستتردد فيها أصوات المعدنين والعمال وتدب فيها الحياة بعد آلاف السنين وتصطبغ جبالها بألوانها الطبيعية

المتعددة الزاهية وقممها الشامخة تعلوها السحب والدخان الأبيض وتمر بها الرياح المنعشة وأن الإنسان لينظر فيها عظمة وحماسة عندما يزور هذه النواحي ويراها وقد دبت فيها الحياة. وصارت مخضرة الأرجاء. موادة الأمن. موفورة الماء – كثيرة الرخاء.

مرحبا بكم في الصحراء

تعد الصحراء من أكثر الأماكن غموضا على وجه لأرض حيث تتوافر فيها كل مظاهر الحياة الطبيعية، فهي يمكن تشبيهها بالبحر أكثر من أي مكان آخر، فتمتد الصحراء إلى الأفق البعيد كأنها بحيرة عملاقة ولكن بالطبع هذا مجرد سراب، لهذا فإن زيارتك للصحراء يعد اقتحاما لعجائب الأرض لقد لجأ الكثير من الرهبان والشخصيات الدينية إلى الصحراء منذ بدء التاريخ بعيدا عن لهو الحياة وفي محاولة لإيجاد روابط مشتركة بين الإنسان وبين عالمه الطبيعي بروعته وعظمته واتساعه، ومازالت تلك الأديرة بالصحراء المصرية آهلة برهبانها وبعيدة عن الحضارة وتعد الصحراء مكانا نظيفا جدا، فبمجرد أن تغادر الواحات، لن تجد ذبابة أو حتى بعوضة، وتمتاز الصحراء

المصرية بتنوعها المذهل، فهي من أكثر الصحراوات تنوعاً على وجه الأرض، مما يجعلك تتأمل ما فيها بعيد عن صخب المدن فتجدها متغيرة ما بين كثبان رملية مرتفعة، وأودية صخرية أو سهول مليئة بالهضاب المخروطة الشكل والغريبة وبين خليط من مسطحات من الرمال والكثبان الرملية والنباتات الصحراوية والطيور المختلفة والزواحف والحفريات، والخشب المتحجر، فتكتشف بمرور الوقت أنها ليست عالما ميتا خاليا من الحياة بل على العكس تزدهر بأشياء كثيرة منها الثعالب الصغيرة ذات الأذن والفؤوس الحجرية الكبيرة ورؤوس الرماح بل تراها تزدهر بأشياء كثيرة تبحث عنها وتنظر إليها متأملا مثل الحفريات، والعديد من لوحات الفن الصخري الذي يبلغ عمره ٥٠٠٠ عام، والمنحوتات، وعلامة طريق الجمال القديم، والخزف الروماني، وأشجار الأكاسيا المتشبثة بالحياة، ورواسب أكسيد الحديد المائي، وبقايا هياكل أسماك القرش التي ترجع إلى ما قبل التاريخ، وتستمر هذه القائمة المليئة بعجائب الصحراء التي في انتظارك لاستكشافها.

والجدير بالذكر أن ٩٥% من مساحة مصر صحراء، ولكن تاريخ مصر الحقيقي يكمن في هذه الأراضي الخصبة التي تمثل ٥% من مساحتها التي تقع بجانب نهر النيل.

الحياة البرية في الصحراء

أما عن الحيوانات التي تعيش في الصحراء فبإمكانك أن ترى حيوانات لا تتوقع أن تراها فغالبية الناس يتوقعون رؤية الثعابين والعقارب إلا أنهما في الحقيقة يعتبران نادران بل شديدي الندرة في عمق الصحراء، ولكنك في الغالب سترى الصقور التي تحلق في السماء، واليربوع (هو نوع من القوارض)، وبالاتجاه نحو العمق وخاصة في مواقع التخييم القديمة، يمكنك أن ترى نوعا من الثعالب الأفريقية الصغيرة والتي تتميز بأذنها الكبيرة والتي تحفظها باردة دون عرق، يمكن أيضا أن ترى البرص ذو الأقدام والسحالي الصحراوية، هذا بالإضافة إلى الخنافس ذات الأرجل المشدودة لتبقيها بعيدة عن الرمال الساخنة، أما الغنم البري فلا يزال موجودا بالقرب من العوينات والجلف الكبير، والوعل الذي يتميز بقرونه الطويلة فيمكنك أن تراه في

الصحراء الشرقية على بعد حوالي عشرون كيلومتر من القاهرة.

تتشابه وتختلف الواحات عن بعضها البعض تبعا لأصولها واختلاطها فمثال واحة سيوة مختلفة حيث أن أغلب سكانها ترجع أصولهم إلى بربر شمال أفريقيا عكس سكان باقي الواحات الذين اختلطوا وتأثروا ببدو العرب من الشرق.

مستكشفي الصحراء

جاء المستكشف الأرستقراطي المصري "حسنين بيه" والذي قام برحلة استمرت لستة أشهر من سيوة مرورا بالعوينات ووصولا إلى الأراضي السودانية والتي تعد من أعظم رحلات الصحراء، ولم يكن "حسنين بيه" أول مستكشف يزور العوينات، ولكنه كان أول من ألقى نظرة على منطقة "الجلف الكبير" وفي نفس الوقت قام "الأمير كمال الدين" مستخدما العربات لنصف الطريق بعمل أول رحلة موسعة حول سهل الجولف الكبير وكان هو أول من أسماه بهذه الاسم وأول من وضعه على الخريطة.

obeikandl.com

التوقيت في الصحراء

وكثيرا من الناس سيتفقون على ضرورة المبيت ولو لليلة واحدة في الصحراء كي تشعر شعورا حقيقيا بها، فسترى السماء رائعة في الليل، وستجلس بجوار النار للتدفئة، وفي الصباح التالي سوف تشاهد شروق الشمس بكامل روعته وتعد الرحلات الأطول هي الأفضل حيث ستجد الفرصة لتتعلم شيئا عن النجوم، وسترى مدى التنوع الهائل للصحراء ولكن لا تستمر رحلة واحدة لأكثر من أسبوعين بدون الوقود والمياه والطعام الكافي، وبالرغم من ذلك وحتى لو استمرت الرحلة لأيام طوال فسوف تظل تشعر بأنها غير كافية للأستمتاع بجمال الصحراء.

الحياة البدوية

والتقاليد في الصحراء

إن البدو هم المواطنون التقليديون قاطنوا الخيم في الصحراء المصرية والعربية، ويعتبر البدو العرب هم أول من اعتنقوا الدين الإسلامي وعملوا على نشره في شمال أفريقيا وحتى أسبانيا في القرن السابع الميلادي وتعتبر الثقافة البدوية هي ثقافة شفهية وهم يسجلون تاريخهم من

خلال القصص والأشعار وتعتمد هوية البدو على العصبيات والاتحادات العائلية التي لديها مصالح مشتركة أكثر من الأصل الواحد، وهذا يعني أن القبائل ذات الأصول العربية قد وجدت رابطا مشتركا على مدى العصور بربطها بقبائل البدو المحلية في مصر. وبالرغم من أن البدو يكرهون بشدة أن تتزوج بناتهم من المستوطنين إلا أنهم ليسوا معارضين لزواجهم من البدو مازالوا مستمرين في النمو.

وتعتبر القبيلة الرئيسية الموجودة في الساحل الشمالي لمصر هي قبيلة "أولاد علي" أما على الساحل الشرقي فيوجد قبيلتان رئيسيتان وهما "المعاذة" و "عبابدة" وهم أقرب ثقافيا إلى قبائل "بيجا" في السودان وأثيوبيا، وبالرغم من أن قبيلتي "عبابدة" و "معاذة" تعتبران مختلفتان ومعارضتان لبعضهما على خلفية انتساب كلا منهما للأصول العريقة، إلا أن نزاعاتهم الحقيقية هي على الأرض والسلوكيات وليست على العرق.

وقد أغرم الأوروبيون على مدى القرون بالبدو والثقافة البدوية، ومن أهم مبادئ البدو: حماية الضيوف وحسن

الضيافة، والصداقة التي لا يعرفها غير معطيها، هذه المبادئ مازالت موجودة ولكنها تضعف تدريجيا نظرا لظروف الحياة المعاصرة أما نظام العدالة للبدو فهو عبارة عن قاعة أو مجلس يحضره كبار القبيلة والقبيلة الأخرى إذا كان هناك نزاع بين قبيلتين وحتى القرن ال ١٩ كان البدو مسيطرين على الصحاري المصرية وكان المصريون مسيطرين على وادي النيل الخصب والدلتا، ويعتبر البدو أنفسهم عربا حيث تأتي أصولهم كالمثلث يبدأ من سوريا ثم إلى العراق ونزولا إلى المملكة العربية السعودية، وفي بادئ الأمر وصلوا إلى مصر كجزءا من الفتوحات الإسلامية العظيمة، وقد قامت أول موجة قادمة من البدو في الزواج من عامة المصريات، وبالرغم من أن بعضا منهم قاموا بالسكن في الصحراء وشاركوا قبائل "البربر" و "تبو" في حياة الصحراء أما الآن فيمكن تقسيم البدو إلى أربع مجموعات، أولهم بدو سيناء الذين يعتبروا أقرب لجذورهم وأصولهم البدوية، وهم أيضا الذين يعملون في شرم الشيخ، ومعظمهم يحتفظون بتقاليدهم القديمة وهم يصطحبون السياح إلى الهضاب والسهول عبر الطرق القديمة، وثانيهم

قبائل ساحل البحر الأحمر وهم "المعاذة". و "العبابدة" وهم أيضا يحافظون على تقاليدهم وعاداته القديمة بالرغم من تبنيهم للتكنولوجيا الحديثة ومظاهرها في حياتهم وثالثهم قبائل "أولاد علي" والذين يسيطرون على الساحل الشمالي حيث تأثرت ثقافتهم بالثقافة الإسكندرانية، وفي الآونة الأخيرة أصبحوا أثرياء نتيجة لتطور المنتجعات الشاطئية على طول الساحل الشمالي، ورابعهم البدو القاطنون في واحات الصحراء الغربية، وهم مرتبطين ثقافيا بقبائل "أولاد علي" وبدو البحر الأحمر إلا أنهم مختلفين عنهم في النسب حيث عاشوا عدة قرون أو أكثر في هذه الواحات، وقد كانوا يشتغلون في قيادة الحافلات الكبيرة التي تنقل الجمال إلى وادي النيل في الثمانينات، ثم تحول عددا منهم بعد ذلك للزراعة ثم إلى العمل بالسياحة والذي يعتبر أكثر ربحا، وهم مازالوا أيضا يحتفظون بخصائص الحياة البدوية مثل حبهم للصيد والصحراء وموسيقى التخييم.

جمال وسيارات البدو

يقوم البدو بالاعتناء والاهتمام بسياراتهم وجمالهم، ولكن البدو يستخدمون السيارات الفارهة "لانكروزر" ولأن البدو

يحتاجون أن يكونوا دائما في الصحراء فإنهم يهتمون بسياراتهم لدرجة أفضل من الأوروبيين، وهذا يعتبر مجرد تحول من اهتمامهم بالجمال إلى الاهتمام بالسيارات، فعندما تسافر مع بدوي وتتوقف في الطريق لا تتوقع فنجانا من القهوة أو الشاي ولكن أولا سيقوم البدو بإنزال الحمولة من على ظهر الجمال ليريحهم ثم يطعمهم، وفقط عند هذه اللحظة يمكنهم أن يضعوا الطعام ويعدوا الخيمة لأنفسهم أو لأي مسافر معهم ويعد هذا الوضع مماثلا بالنسبة للسيارات، فإذا حدث لإطار السيارة ثقب في أثناء النهار فسيتوقف البدوي لإصلاح هذا الثقب قبل إعداد الطعام لأي شخص، فإن البدو لديهم قدرة هائلة على العمل وخصوصا العمل الشاق.

تراث وثقافة البدو وعاداتهم

أوصافهم الخلقية: أشهر أوصاف البدو الخلقية رشاقة القد وخفة الحركة وذكاء العيون وسمرة اللون وقلة شعر العارضين وقنا الأنف والجمال في نسائهم قليل ولكنه يؤيد قول المتنبي.

حسن الحضارة مجلوب بتطرية وللبداوة حسن غير مجلوب

والبدويات مولعات بوشم الشفاة ويعددنه من الجمال.

أخلاق البدو أهم صفاتهم:

اشتهر البدو في كل مكان وزمان بحب الضيافة والكرم والغزو والنجدة والأخذ بالثأر ومراعاة الجار وتعظيم الجميل وتكريم الأبل. واحترام العرَض. والوفاء بالعهود. والافتخار بالنسب. وعدم احتمال الضيم وكره التقيد بنظام. والجرأة في طلب الحق. وحب المساواة والحرية والشورى في الشئون العامة ولكن ضعف حالهم يفقدانهم رونق هذه الأخلاق.

الضيافة: وأول خلق فيهم الضيافة فإذا أقبل الضيف أنزلوه على الرحب والسعة واستضافوه بالتناوب إلا إذا كان عزيزا لديهم جميعاً فإنها لا يراعون النوبة ويتسابقون إلى ضيافته فإذا اختلفوا في من يضيفه رفعوا الأمر إلى كبير قومهم وهو يسمى المضيف وحكمه نافذ.

إطعام الضيف: يذبح خروف ويسلق ويطبخ بمرقه أرز في قصاع من خشب ويجعل في كل قصعة بضع من اللحم وفي قصاع أخرى أرغفة من الخبز. ثم يحضر إلى خيمة الضيوف جميع رجال المخيم (التجمع) فيجلسون حول القصاع فئات كل فئة قصعة فيأكل الجميع إلا المضيف

(صاحب المنزل) فإنه يبقى على خدمة الموائد إلى أن يفرغ الجميع فيأكل ويوزع ما بقي من الطعام على النساء فيأكلن في خيامهن. والعادة أن كبير الضيوف يرسل من قصعته نصيباً من اللحم إلى راعية البيت إذ النساء لا يأكلن إلا فضلات النساء.

ومما يذكر أن اليدين والرجلين ولحم الرقبة ولحم البطن لا تقدم على موائد الرجال بل تحفظ للنساء ويعد تقديمها على موائد الرجال إهانة لهم وبعض البدو لا يحتفلون بالذبيحة إلا إذا رأوا رأسها على المنسف.

العداية: وهو ما يأخذه المضيف من غنم جاره لإكرام ضيفه. فإذا فاجأ البدوي ضيف ولم يكن عنده ما يضيفه به أو كانت غنمه بعيده فله أن يأخذ رأساً من قطيع جاره سواء كان من قبيلته أو من غير قبيلته ليذبحه للضيف بل له أن يعدو على قطيع جاره ولو كان الضأن والمعز ملء داره بل لا يشترط أن تكون الذبيحة التي أخذها من قطيع جاره أسبق للذبح مما عنده ولكن يشترط رد مثل الذبيحة في مدة أربعة عشر يوماً فإذا لم يرد المضيف العداية في مثل هذه المدة حق للجار والوثاقة عليه أي الإغارة على غنمه

وحجز ما أمكنه منها حتى يسترد العداية ومن عادة المضيف أن يلطخ رقبة جمل ضيفه بدم الذبيحة حتى إذا ما جاء أحد يطلب الوثاقة منه لا يقرب هذا الجمل احتراماً للضيافة.

القتال والنجدة والأخذ بالثأر:

الغزو: وإذا أرادوا الغزو وركبوا الهجين وقصدوا العدو حتى يصلوا إلى مقربة منه فيأتون خوراً أو منخفضاً من الأرض ويبركون الأبل ويعقلونها ويجعلون عندها بعضهم لحمايتها. ثم يتقدمون صفاً واحداً حتى إذا ما رأوا العدو أطلقوا نيرانهم فإذا فرغت النيران حملوا السيوف حملة صادقة فلا يعودون إلا ظافرين أو منكسرين وفارسهم في ساحة القتال يكني باسم أخته أو بنته فيقول أنا أخو فلانه وأنا أبو فلانه وينادي (الذبح – الذبح).

النجدة والمرقة: ومن أكبر المعايب عندهم أن يفر الرجل من القتال أو يجبن عن نجدة رفيقه أو يسرق مطمورة جاره فمن فعل هذه الجرائم كلها أو واحدة منها احتقر ورفضت البنات زواجه.

وإذا دخل مجلساً ووزعت فيه القهوة أو الشاي على الجلوس مد الساقي يده بالفنجان موهما أنه يقدمه إليه حتى إذا مد يده لتناول الفنجان كبه الساقي في الأرض استخفافاً به واحتقاراً لشأنه فينصرف عن المجلس من غير أن ينبس ببنت شفة وفي غالب الأحيان يرحل إلى بلاد لا يعرف أحد فيها بجنايته.

الأخذ بالثأر: وأهم ما اشتهر به البدو الأخذ بالثأر فما يموت لبدوي ثأر مهما قل شأنه أو مهما طال عليه العهد. وإذا مات قبل أن يثأر من خصمه خلف الثأر لأبنه ولنسله من بعده ولكنه قد يعرف حقه ويتركه.

احترام العرض: وقصاص الزاني عندهم القتل. وأحياناً يقبلون الفدية.

٢- عادات البدو

خيامهم وعرائشهم:

(وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ) [قرآن كريم].

الخيام: يسكن البدو خياماً من الشعر يحيكها النساء ويبنها على شكل ظهر الثور جاعلين أبوابها للشرق. والخيمة المستوفاة تسعة أعمدة ثلاثة في الوسط وثلاثة في كل من الجنبين. أما عمد الوسط فهي (المقدم) في صدر الخيمة في الشرق. (الوسط) وهو أعلى عمد في الوسط. والزافرة في الغرب وأما عمد كل من الجنبين فهي (اليد والعامر والرجل) هذا هو هيكل الخيمة يكبرونه ويصغرونه حسب الاقتضاء. ثم يضعون فوق هذه الأعمدة السقف مؤلفاً من شقاق يحيكونها من شعر الماعز. ثم الأجناب وتدعى الرواق تحاك من وبر الجمل وصوف الغنم وأكثرها من الصوف.

ويجعلون في وسط الخيمة ستارا يدعى (المعند) يمد من المقدم إلى الزافرة فيقسم الخيمة قسمين قسماً للنساء وقسماً للرجال ويحاك من الصوف أو الوبر وأكثره من الصوف. أما باب الخيمة فهو الوجه الشرقي كله يترك مفتوحا إلا في أيام المطر والبرد فإنه يقفل. ويثبت جوانب الخيمة في الأرض بالأوتاد والحبال يشترونها من المدن أو يجدلونها في باديتهم من نبت السماء.

العرائش: وهم لا يسكنون الخيام إلا في الشتاء والربيع اتقاء المطر أو البرد فإذا ارتفع المطر وزال البرد بنوا لأنفسهم أكواخاً من القش وأغصان الشجر اتقاء الحر والرياح تدعى (عرائش).

أثاثهم:

وأهم أثاث خيامهم وعرائشهم وداويرهم:

المنسف: وهو طبق مستدير واسع من الخشب يقدمون فيه الطعام للضيوف.

الباطية: وهو منسف صغير يستعمله رب العائلة الكبيرة.

الكرمية: أو الزلقة أصغر من الباطية ويستعمل لعجن الدقيق وتقديم الطعام.

الهنابه: أصغر من الكرمية وأعمق جوفا منها وتستعمل استعمال الكرمية.

القدح: وهي آنية من الخشب في شكل مربع مستطيل ولها يد وفم وتستعمل لحلب الإبل وشرب الماء.

حجارة الرحى: يستعملونها لطحن الدقيق.

الغرابيل: لغربلة الحبوب وتنظيف الدقيق ويشترونها من المدن.

الصاجات: من الحديد وتستعمل للخبز وعمل الأرغفة.

الحلل النحاسية: للطبخ ويشترونها بلا أغطية.

عدة القهوة: وهي مؤلفة من (المحمصة) وهي طاسة من الحديد يحمصون في البن (والهون) وهو من الحجر أو الخشب أو الفخار يستخدمونه لصحن البن ومعه يد من خشب تعرف بالسحانة (البكرج) وهو ابريق من نحاس لغلي القهوة (والفناجين) وهي من الصيني السميك واسعة الفم يشترونها من المدن ويستعملونها بلا صحون (والصنية) من نحاس يشترونها من المدن أو من الخشب هذا عند عرب الشرق أما عرب الغرب فيستعملون الشاي بدلاً من القهوة ويقدم على ثلاث مرات ويصنع بالنعناع.

الأغطية: وينسجونها من الوبر والصوف ويستعملونها كالألحفة.

الغفور: وينسجونها من الصوف المصبوغ أحمر وأخضر ويستعملونها أغطية أو بطونها ويستعملونها وسائد.

الفرش: يستعملونها كالبسط والسجاد.

الغرائر: جمع غرارة أو الفراد وهي أكياس من الوبر أو الصوف أو الشعر لحفظ الحبوب.

الخراج: يصنعونها من الصوف الأبيض والملون أخضر وأصفر وأحمر ويصنعون لها شراريب من الصوف والشعر.

المزاود: مفردها (مزوادة) تشبه فردة الخرج وتصنع مما يصنع الخرج وتستعمل في السفر لحمل الدقيق.

المخالي للخيل وتصنع من الصوف أو الوبر.

وكل هذه الأنسجة الصوفية تحاك بأنوال بسيطة عندهم.

القرب: وهي آنية الماء المشهورة وتصنع من جلود الماعز وهي أفضل آنية لتبريد الماء وفي بعض البلاد يستعملون جرار الماء المصنوعة من الفخار.

المجارب: جمع (مجرابة) وهي أكياس للدخان تصنع من جلود الغزلان والماعز.

الغلاين: لشرب الدخان أما عودها فيصنع من شجر الأثل أو شجر الكرز وأما حجرها فيستخرجه من جبل كتيفة بجوار البلج. وهم يعلقون في الغليون سلسلة وبها مرود يدعى الإبرة لتنظيف الحجر وملقط صغير يدعى (الماشة) لالتقاط الحجر.

أسرجة الإبل والخيل والحمير: ويعرف سرج الحمار عندهم بالبردعة وسرج الفرس بالسرج وسرج جمل الحمل (بالوتر

أو الحوية) وسرج جمل الركوب (بالغبيط أو الشداد) وللغبيط حزامان من الشعر وهما (البطان) ويحزم مقدم بطن الجمل (والحقب) ويحزم مؤخر بطنه.

٣- حياة البدو في مخيمهم (خوشيهم)

الحياة في المرعى أو الربيع: يطلب البدو المرعى في أيام القيظ فيجعلون مخيمهم بيتين بيتين أو ثلاثة ثلاثة فإذا جاء الربيع اجتمعوا أفخادا في الجهات التي يكثر فيها الكلأ. وجعل كل فخد منهم مخيمه صفا واحدا وفتحوا أبوابها للشرق وجعلوا أمامهم أنعامهم (مواشيهم).

وصف معيشتهم اليومية في المخيم: يقومون يوميا عند مطلع الشمس. فيذهب الرعاة بالإبل والأغنام إلى المراعي والشبان لرعي الإبل والشابات لرعي الغنم. وتبقى النساء في البيت لتحضير الطعام أما باقي الرجال فيجتمعون في خيمة كبيرهم أو شيخهم في الصباح ومع كل منهم حفنة من البن أو الشاي حسب الجهة. فتوقد النار لعمل الخبز ويأكلونه. ثم يعملون القهوة ويشربونها معا ويجلسون يتحدثون في شئونهم الخاصة وأكثرها عن الإبل والغنم والغزوات السابقة واللاحقة.

أو يلعبون السيجة(لعبة الطاولة) المعروفة وليس لديهم لعبة غيرها. أو يغنون على الربابة ويشربون الدخان إلى الضحى. فينصرف كل واحد إلى خيامه فيجد طعام الظهر قد أعد فيتغذى ويرجع إلى المجلس فيتحدثون ويصنعون القهوة والشاي حسب الجهة فيتحدثون إلى الغروب حيث تعود الإبل والأغنام من مراعيها ويكون طعام العشاء قد أعد فيذهب كل شخص إلى خيامه فيشاهد ماله ويتعشى ويعود إلى المجلس ثم ينصرف كل شخص إلى منامه إلا إذا كان هناك فرح فيلعب الدحية أو السامر إلى نصف الليل أو أكثر وهكذا.

الوجبات: وهكذا يأكل البدو ثلاث وجبات في النهار. فطور وغداء وعشاء. أما الرعاة فيأكلون وجبتين الفطور قبل قيامهم للمرعى والغداء بعد رجوعهم وقد يضطر الراعي في بعض الأحيان إلى المبيت وحده في الخلاء فيأكل قرص الخبز أو الثمر ويشرب من لبن الإبل أو الغنم.

الشتاء: فإذا نزل المطر وارتوت الأودية اهتم الناس بالزرع والحصاد وبعد حصدهم الزرع يكون النخيل قد نضج ثمره وآن وقت جمعه فيتوجهون إلى نخيلهم لجمعه.

الضيافة في مخيم البدو: عند استقبالهم ضيفا عظيما يجلس الضيف في خيمة قد فرشت بالبسط وجعلت فيها الغفور كالمساند ويجتمع الفرسان يتسابقون على الخيل أمام الخيمة والنساء يزغردن لهم نحو نصف ساعة. ثم يوقدون النار ويعملون القهوة ويقدمونها للحضور أو الشاي. ثم يقدم الطعام عادة في منسف أو منسفين كبيرين حسب عدد المدعوين منسف فيه أرز مسلوق وآخر فيه الخبز وقطع اللحم فيأخذ المضيف يقسم اللحم والخبز على الحضور ويدعوهم إلى منسف الأرز فيدعوا أولا عددا لا يزيد عن ١٢ شخصا ثم غيرهم وهكذا حتى يأكل الكل. فبعد ذلك يقعد المضيف هو وأولاده فيأكلون ما بقي وبعد الانتهاء من الطعام يبدأ الرقص والغناء فيلعبون السامر والشرقية والدحية وإذا تواجد أحد الشعراء يرتجل أقوالا تتناسب في المقام.

٤- ملابس البدو وأسلحتهم

لبس الرجال: ويلبس البدو قميصا قصيرا فوقه قميص طويل من الخام أو البفتا ويسمى (الثوب أو أردان) وقد

يلبسون فوق الثوب أبو أردان (الكبر) وهو ثوب من البفتا كالقفطان.

الدفية والجرد: ويلبسون فوق الكل عباءة سوداء تدعى (دفية) وأما عرب الغرب فيلبسون بدلا من العباءة حراما من صوف الغنم ويدعى (الجرد). ويستعملونه لأغراض شتى.

الجعدان: وعرب الشرق يلبسون في الشتاء (القرى) أو (الجعدان) وهو جلد من الضأن غير مدبوغ يلبس مقلوبا أي صوفه لجهة الظهر ويؤتى بطرف منه فوق الكتف الأيمن والطرف الآخر تحت الإبط الأيسر ويعقد الطرفان على الصدر.

القرى: أما القرى فهي الجعدان مفصلة تفصيل السترة الأفرنجية بأكمام وأزرار.

النعال: وكلهم يلبسون في أرجلهم النعال من جلد الحيوان ويلبس كبارهم الجزم أو البلغ المصرية.

لباس الرأس: وفي الشرق يلبسون على رءوسهم (العمامة والمريزة) فوق عراقية من وبر الإبل وبعضهم يلبس الطربوش المغربي فوق العراقية وعلى الطربوش عمامة من

الشاش أو الحرير الملون. أما العمامة فهي منديل أبيض من قطن. وأما المريزة فهي العقال من صوف الضأن أو وبر الجمل وفي الغرب يلبسون الطرابيش المغربية أو العمامة أو الطاقية البيضاء.

الأسلحة:

الشبرية: وكلهم يتحزمون بكمر يجعلون فيها نقودهم أو بسيور من الجلد ومنهم من يعلق بحزامه سكينة محد به ذات حدين تدى الشبرية **سيوفهم:** ولابد لكل منهم من سيف يحمله تحت إبطه الأيسر وأكثر سيوفهم محدبة حادة محلاة أغمادها بالفضة وهي أنواع: **العجمية:** وهي سيوف مستقيمة ذات حدين كسيوف عرب السودان وهي من صنع العجم وبعضها مكتوب عليه (لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. نصر من الله وفتح قريب) **والدمشقية أو الشاكرية:** وهي سيوف محدبة ذات حدين تأتي من الشام وهي من أجواد الأنواع **والسليمية:** وأكثر سيوف بدو سيناء من هذا النوع وهي سيوف مستقيمة محنية من رأسها ويقال أنها تنسب إلى السلطان سليم الفاتح العثماني

بنادقهم: وأكثر البدو يحملون بنادق سواء في الشرق أو في الغرب وبنادقهم أنواع: **بنادق الفتيلة:** وهي أقدم الأنواع يولعونها بالفتيلة قبل إطلاقها بقليل ويستخدمونها للصيد. **بنادق الشطفة:** وهي تلي بنادق الفتيلة في القدم. **بنادق الكبسول:** مفردة أو متومة ويقال للمتومة بنادق بروحين **بنادق رمنتون:** التقطها البدو من أرض مصر وقت الثورة العرابية **بنادق حديثة:** وبعضهم يحملون الآن بنادق بالخرطوش وبنادق رصاص من طراز قصير إيطالي مما غنموه من الإيطاليين في الغرب.**الطبنجات:** وبعضهم يحملون طبنجات من الطراز القديم أو المسدسات المعروفة (بالزنفلفر) وهم يعلقون الذخيرة على الكتف الأيسر مدلاة من تحت الإبط الأيمن.

أما الذخيرة: فهي سير من الجلد يشدون إليه مكابل من قصب الغاب ملأى بالبارود وقرنا فيه ما يحفظوه من البارود.

الصفن: أما الصفن فهو كيس مربع من الجلد يجعلون فيه الدراهم والموس والسكاكين والزناد والقداحة ورصاص البنادق وغيرها. وقد يحملون للرصاص صفنا خاصا.

الغلايين: وعرب الشرق إذا ساروا حملوا الغلايين بأيديهم والمحارب وأكياس الدخان في أرساغهم. وإذا ركبوا الإبل حملوا المحاجن وهو قضيب معقوف الرأس وإذا ركبوا الخيل حملوا الرماح الطويلة.

الدبوس: ويحمل رعاة الإبل (الدبوس) وهي عصا قصيرة في رأسها كتلة.

حلاقة الرأس: وكلهم يحلقون شعور رؤوسهم ويدورون لحاهم ويهذبون شواربهم.

الخواتم: وفي الشرق يتختمون بخواتم من الفضة بفصوص من الفيروز أو العقيق أو حجر الدم ويفضلون العقيق على الفيروز لأنهم يعتقدون أنه مانع للرعاف. وقد يتخمون بمحابس من النحاس ولبسهم للذهب نادر.

لبس النساء:

أما النساء فهن لا يلبسن إلا الثوب أبوردان يشترونه مصبوغا أزرق ثم يغمقون لونه بصبغة من جزور النبات ويتحزمن بحزام من شعر أسود أو أبيض أو يلفونه حول الخصر ثلاث لفات. وقد يلبسن فوقه حزاما أحمر يسمى السخفية تتدلى منه شراريب من الجنب الأيمن إلى حد

الركبة. ويلبسن في أرجلهن النعال أو الأحذية الحمراء أو الصفراء وقد يعلقن في رؤوسهن خرزة زرقاء لرد العين الشريرة.

البرقع: وبدويات الشرق يتبرقعن ببرقع كثيف يعطي الوجه كله فلا يبقى منه إلا العينان وهو مؤلف من الوقاة وهي نسيج أسود تغطي الرأس والأذنين والبرقع وهو قطعة مربعة مستطيلة من كريشة حمراء خضراء أو بيضاء مطرزة بخيوط حريرية ومزينة بقطع صغيرة من النحاس أو الفضة أو الذهب ولها حلقتان من الجنبين في كل منها حلقة تتدلى على الصدغين والكتف سلاسل من قطع النقود القديمة أو الودع وتدعى الواحدة منها شكه.

القنعة: وتلبس النساء فوق البرقع وشاحا أسود يدعى القنعة يغطي الرأس والظهر ويتلثمن به عند مقابلة الرجال.

الحلي: وهن يعلقن في أعناقهن عقودا من الخرز والفضة ويتختمن كالرجال بخواتم ضخمة من الفضة والقصدير ويلبسن أساور من الفضة في أرساغهن وأساور الزجاج في زنودهن وهن لا يثقبن آذانهن وتثقبن أنوفهن من جهة واحدة ويلبسن فيها الأشناف من فضة ومن ذهب.

الوشم: وجميع نساء البدو مغرمات بالوشم فيوشمن الشفة السفلى وظاهر اليدين من ظهر الكف إلى المعصم إلى الكوع – وقد يوشمن الخد بدقة كرجل الطير. ورجال البادية تحب الوشم وتتغزل فيه.

لبس الأولاد:

أما الأولاد فإنهم يلبسونهم قميصا مفتوح الصدر ويكحلون أعينهم ويتركونهم حفاة عراة الرأس إلى أن يبلغوا سن الرشد.

٥- طعام البدو

حبوب الطعام: وطعامهم الشعير والذرة والقمح والأرز والعدس والبلح وأفخر الحبوب عندهم الأرز يشترونه من مصر ولكن أكثر أكلهم الشعير ثم الذرة ثم القمح ثم الأرز ثم البلح. وكثير منهم يأكل دقيق الشعير مخلوطا بدقيق الذرة أو دقيق القمح أو بكليهما ويسمونه البغت.

الأرغفة والأقراص: وهم يطحنون الحبوب بالرحى ويعجنون الدقيق بالباطية ويخبزونه فطيرا على الصاج أرغفة رقاقا أو يخبزونه على الحجر أقراصا. وهو أكلهم في السفر.

الادام: وهم يأكلون خبزهن بلا ادام أو بادام من قمر الدين أو اللبن الحليب أو السمن أو الزيت أو الكشك أو اللحم أو السمك. ويجلسون أحيانا حول قصعة الطعام يأكلون بأيديهم الفتة من العيش وعليها الادام الكشك والزيت والبصل والتوم والفلفل.

أنواع الأطعمة: وللبدو في مخيماتهم أطعمة بسيطة للغاية متشابهة تركيبا وطبخا وقوامها كلها أو أكثرها الحليب والسمن والدقيق والخبز وأشهرها.

الجريشة: يجرشون القمح بحجر الرحى حتى يصير برغلا خشنا يسلقونه جيدا ثم يسكبونه في قصاع ويصبون عليه الآدام من اللبن أو السمن أو الزيت.

العصيدة: يغلون الماء في حلة ويصبون عليه الدقيق شيئا فشيئا وهم يحركونه حتى يكون له قوام فيصبونه في القصاع ويأكلونه أو يغلون اللبن الحليب بدل الماء وهو التلبانة.

المطبوخة: يضعون فتات قرص المسلى في الحليب ويغلونها في حلة حتى تنضج فيسكبونها في القصاع

obeikandl.com

ويأكرونها بآدام من السمن الحار أو بلا آدام. ونحو ذلك الباذنية – أم حلة. والفطيرة والمردودة.

الدفينة: وهي فتة من الخبز أو مسلوق الأرز بمرقة اللحم منثورا فوقها قطعا أو أكثر أكل البدو القرص والعصيدة والجريشة.

الكشري: وهو طعام من الأرز والعدس مطبوخا بالسمن والزيت.

المفروكة: وهي نوع من الشعرية تؤكل بالسمن والسكر.

الشوية: وللبدو طريقة حسنة في شواء الضأن أو الماعز وذلك أنهم يبنون زربا من الحجارة على هيئة كوخ صغير له باب ويوقدون فيه الحطب حتى يصير جمرا ويذبحون الضأن أو الماعز ويسلخون جلده ثم يبقرون بطنه ويستخرجون منه الأمعاء والكرش ثم ينظفون الكرش ويلفون به الذبيحة ويضعونها في الذرب ويطمرونها بالجمر ثم يسدون باب الزرب ويتركونه نحو ساعة ويخرجونه فإذا به شواء لذيذ شهي للغاية.

والبدو يستخدمون الملح ولكنهم لا يستخدمون البهارات في أطعمتهم وأكلهم الخضر والسمك والفاكهة قليل. وفي أيام

الربيع ينبت في صحاريهم كثير من الأعشاب يأكلونها. وهم يأخذون أغصان الزقوج والعلميان. والربيان والجرجير والقربص والزعتر وينشفونها ويطحنونها بحجر الرحى ويمزجونها ويغمسون بها الخبز ويأكلونها كالدقة.

٦- شراب البدو

الماء واللبن: وشرابهم الماء ولبن الإبل والضأن والماعز. ومن فضائلهم أن ليس لهم مسكر من أي نوع كان وأكثر شربهم من ماء الآبار أو الينابيع. وإذا نزل المطر وجرى السيل شربوا ماء الغدران وهم يحفظون ماءهم بالقرب منهم وبعضهم يحفظونها في جراء سوداء وبعضهم يشربون بالأقداح الخشبية أو من أفواه القرب والأطرار.

الدخان: وبدو الشرق مغرمون بشرب الدخان يزرعونه في أرضهم خفية أو يشترونه من الخارج ويدخنون بغلايين طويلة تبلغ أحيانا ٣٠سم ولا يمضغون التبغ مضغا كما في السودان. وإذا عدم البدوي الدخان وعن له شربه تناول بعبوة يابسة من بعر الإبل وجعلها في غليونه ودخنها.

القهوة: ثم إن ولعهم بالقهوة ليس بأقل من ولعهم بالدخان ولا يشربون القهوة إلا مصنوعة في وقتها فتراهم أينما نزروا

أوقدوا النار وجلسوا حولها حلقة يدخنون التبغ بغلاينهم وأتوا بعد القهوة فحمصوا البن بالحماصة ثم طحنوه بالهاون وعملوا القهوة وصبوها ووزعوها على الحاضرين دورا أو أكثر على الترتيب مبتدئين من اليمين. وهم يشربونها صرفا إلا في الأفراح فإنهم يشربونها بالسكر وربما مزجوها بحبهان أو قرنفل أو زنجبيل. هذا في بدو الشرق.

الشاي: وبالمثل فإن بدو الغرب غرب النيل يستعذبون الشاي ويتبادلونه ثلاث مرات في الدفعة الواحدة في أقداح من الزجاج صغيرة مضافا إليها النعناع وأحيانا يضعون فوقه حبوب الفول السوداني.

الجوع والعطش: وللبدو صبر على الجوع والعطش وإذا جاع أحدهم ولم يجد طعاما شد حجرا مستطيلا على معدته واحتمل الجوع بصبر غريب واكتفى بأكل العشب ومن بات منهم بلا عشاء سمي المقوى ومن لم يأكل طعام الصبح سمي المريوق قال شاعرهم:

يـا كـم ليلـة بتنـا مقـاوى وصبح عزيز الحزام بدين

وقال آخر:

والله لا علمك ماني عليك جاهد اليوم مريوق والبارح رغيف واحد

٧- معارف البدو وعلومهم

إن البدو أغلبهم أميون لا يقرأون ولا يكتبون وليس فيهم طيب واحد ونذر من يتعلم من أهل البادية ماعدا الموجود منهم في الحضر.

الأعداد: وهم يعبرون عن الأعداد بأصابع اليد فكل أصبع مرفوعة بواحد والعشرة برفع أصابع اليدين كلها وضربها في الهواء مرة والعشرين بضربها مرتين وهكذا إلى التسعين. ويعبرون عن المئة بضم أطراف أصابع اليدين وضرب أطراف أصابع اليد الواحدة بأطراف أصابع اليد الأخرى مرة واحدة حاسبين كل أصبع بعشرة وعن المئتين بضربها مرتين وهكذا.

الجهات الأربع: وأسماء الجهات الأربع عندهم الشمال أو البحري – والقبلي والشرق والغرب.

أسماء الفصول: الشتاء والربيع والصيف أو القيظ والخريف أو السجيج أو الخمة.

أوقات النهار: الفجر – طلعة الشمس – الضحى – القابلة أو الظهر – العصر – المغرب.

obeikandl.com

الحساب بالقمر: فإذا أعطوا البدو ميعادا جعلوا أول القمر أو الهلال مبدأ ميعادهم. وليس عندهم حساب غير القمر.

النجوم: والأنجم المشهورة عندهم الثريا ونجيدح وهو الدبران. والجوزاء أو الميزان والبربارة الشعرى والسماكان والمرزم وهما السماك البرامح أو السماك الأعزل. وسهيل – والسعالة أي نجمة الصبح أو الزهرة والعقرب.

طولع النجوم والفلك: يقول البدو:

تطلع الثريا أولا أول الصيف قبل الفجر. وبعد ذلك بأربع عشرة ليلة تطلع البربارة. وبعد ذلك بخمسة وعشرين ليلة أخرى تطلع السماكان والمرزم. وتطلع كلها من الشرق في صف واحد الواحد وراء الآخر.

وبعد طولع البربارة بأربع عشرة ليلة أي في أول الخريف يطلع سهيل من الجنوب وتدوم هذه الأنجم في الفلك عشرة أشهر قمرية وعشرين يوما إلى أواخر الربيع ثم تبدأ في الغياب الواحد بعد الآخر فتغيب ٤٠ يوما ثم تعود إلى الظهور الثريا في المقدمة وهكذا أما العقرب عندهم فسبعة أقسام وتعرف بأسمائها وهي من الغرب إلى الشرق:

التربية – اليدان – خشم العقرب – القلب – ذيل العقرب – الشولة وهي آخر الذيل. محنيا سعد الذبائح.

٨- تجارة البدو

الإبل والغيل والغنم: وهي يعنون بتربيتها ويتجرون بمواليدها الذكور ويذهب إليهم تجار الماشية ويشترون منهم ما يزيد على حاجة البدو أو يذهب البدو إلى أسواق المدن فيبيعون مواشيهم فيها.

الفيروز: وعربان سينا يتجرون بالفيروز ويوجد بكثرة في بلاد الطور.

حجارة الرحى: وهي تجارة واسعة لبدو الشرق ويتجرون بها في مصر والشام ولكن قل طلبها الآن.

المن: وأهل الطور يجمعون المن من شجر الطرفا ويبيعونه لحجاج الدير.

العجوة: في مدة الصيف في موسم البلح يستخرجون النوى من البلح ويجعلون في مكانها قلوب اللوز ثم يجعلونه في أجربة صغيرة ويبيعونه بمصر.

النباب: وهو ينبت في بعض أوديتهم فيجمعونه ويبيعونه.

obeikandl.com

السمار: ويجمعون المسار الذي ينبت في العيون والمستنقعات ويبيعونه لعمل الحصر.

الحنضل: ويجمعونه من الأرض ويبيعونه للعطارين.

٩- صناعات البدو

أما الصناعات المعروفة عندهم فهي خليقة بلوازمها وأهمها:

غزل الصوف: وهو خاص بالنساء وقد تضع المرأة الصوف على رأسها والمغزل في يدها وتغزل وهي ماشية.

الحياكة: وهي خاصة أيضا بالنساء فهن يحكن بيوت الشعر والأغطية والفرش والغفور والغرابر والفرد والإخراج والمزاود والمخالي والأكلمة وغير ذلك من لوازم الخيام.

الأنوال: ولديهم أنوال بسيطة للغاية وهي عبارة عن عارضتين من خشب متقابلتين ومرفوعتين قليلا عن الأرض بينهما مدة نسيج الصوف داخله مشط من التيل ويعملون بها بيوت الشعر.

الصباغة: وهي من شغل نسائهم يصبغن خيوط الصوف التي تدخل في حياكة الإخراج ألوانا حمرا وخضرا وصفرا بمواد يستخرجونها من بعض الأعشاب البرية.

obeikandl.com

الخياطة والتطريز: ولأكثر نسائهم مهارة خاصة فيها.

عمل البارود: يأتون بالصفصاف من الوديان وبملح البارود ويشترون الكبريت من مصر ويصنعون البارود على نسبة رطل ملح البارود لأقة صفصاف وأقة كبريت **والطريقة:** يذاب ملح البارود بنسبة فنجان ملح لخمسة فناجين ماء ثم تغليه على النار إلى أن يتبخر الماء كله فيترك إلى أن ينشف ثم يحرق خشب الصفصاف في حفرة حتى يصير فحما وتغطيه ثم تجعل مزيجا من ملح البارود المغلي وفحم الصفصاف بنسبة اثنين من الملح إلى واحد من فحم الصفصاف ويضاف إلى المزيج من الكبريت سدس كمية فحم الصفصاف أو ثلث كمية ملح البارود. وتدق المزيج في جرن من خشب بيد من حجر حتى يتم مزجه فتجربه بتقريب شيء منه إلى النار فإذا التهب فيكون قد طاب وإلا فيعودون إلى دقه حتى يطيب. ثم يسقى بالماء أثناء الدق حتى يصير رطبا فتضعه على غربال وتدحرجه عليه ثم تضعه في قصعة وتشمسه حتى ينشف فإذا به البارود الذي يستعمله.

عمل الرصاص: وهم يشترون الرصاص ويسكبونه بقوالب عندهم.

عمل الفحم: ويصنعون الفحم من خشب السيال والرتم والطرفا ويبيعونه وأفضله فحم السيال ثم فحم الرتم ثم فحم الطرفا.

البناء والنجارة وإصلاح السلاح: ولبعض البدو من سكان المدن مهارة في البناء والنجارة وفي إصلاح السيوف والبنادق.

حجارة الرحى: ويصنعون في باديتهم حجارة الرحى فيأخذون منها كفايتهم ويبيعون الباقي في الأسواق.

الصيد: يصيدون التيتل والغزال والأرانب لأجل لحمها وجلدها وكذلك صيد الطيول كالسمان وغيرها وأهل الشطوط البحرية يصيدون الأسماك.

قص الأثر: ولهم مهارة عجيبة في قص الأثر وهناك حكايات تكاد تكون من السحر من كثرة مهارتهم وغرابتها وهي حقيقية.

obeikandl.com

١٠- الزراعة عند البدو

الفصول الزراعية: زراعة البدو كلها تعتمد على المطر فإذا لم يقع مطر كاف حرموا الزرع وقل الكلأ واشتد الكرب وهاجر الكثير منهم إلى وادي النيل.

وإذا هبطت الأمطار غزيرة وسالت الأودية زرعوا القمح والشعير والذرة توا بعد المطر وزرعوا البطيخ في الصيف.

الآلات الزراعية: وهم يفلحون الأرض بمحاريث كالمحاريث المصرية إلا أنها أصغر وأقصر يحرثون بها على الإبل أو على الخيل أو الحمير ويحصدون الزرع ويجمعونه في البيادر ويدرسونه بالنوارج وهذا قليل أو بالإبل وهو الغالب.

الدراسة بالإبل: وذلك أنهم يربطون عددا من الإبل الجمال بعضها برقاب بعض ويدورون بها على السنابل فنفعل فعل النوارج.

وهم يذرون الحبوب المدروسة بالمذراة ذات الأصابع الخمسة كالمذراة المصرية.

المطامير القمرى والكمور: ويخزنون حبوبهم في مطامير وهي حفر في الأرض على هيئة الجرة المصرية أي أنها تضيق عند فوهتها وتتسع كلما اتجهت إلى أسفل ويجعلون

أكياس التبن بجانب فم المطمورة للدلالة عليها ويغطونها بتراب المطمورة أو يبنون أكواخا أو دوابر من الحجر الغشيم والطين تدعى قرى جمع قرية يخزنون فيها التبن والمحاريث والخيام والفرد ونحوها أو يخزنونها في حفرة مربعة تحت الأرض على عمق قامة أو أكثر يجعلون لها في أحد جوانبها سلما من الأرض ويسقفونها بأغصان الشجر والتراب تدعى كمور مفردها كمر.

الأقيسة الزراعية: وأهم الأقيسة الزراعية المستعملة في مسح الارضي الزراعية هي: **المعلة:** طولها في بلاد التبه ٤٠ خطوة وفي بلاد العريش ٤٠ خطوة أو ٤٠ مترا **المارس:** وهو قطعة صغير من الوادي صالحة للزراعة تخترق الوادي من الجانب الواحد إلى الجانب الآخر **المرع: هو المارس الكبير:**

حجج الأراضي: وكل قطعة أرض صالحة للزراعة لها مالك من أهلها ملكها بوضع اليد أو بالوراثة ولكن ليس بأيدي البدو حجج مكتوبة وجميع الأراضي وهي ملك الحكومة وللبدو حق الانتفاع بها وللعربان الحق في بيع بعضهم حق الانتفاع.

١١- الشعر والغناء والرقص

آلات الطرب:

الربابة: وهي معروفة جيدا

الشبابة: وهي المعروفة في مصر بالصفارة

المقرون: وهي المعروفة في مصر بالزمارة

الشعر والغناء والرقص: كل شعر في سيناء يغنى ولغة الشعر هي اللغة العامية

أنواع الشعر: القصيد – والمواليا – وحداء الإبل

فالقصيد: ينشد على الربابة ويشمل باب المدح

والمواليا: وهو الغناء على ظهور الإبل مدى الصوت ومن ذلك:

يـــا كـــم بنيـــة نوبـــة قبلـــت أنـــا وياهـــا

والجذلـــة عشـــب ثريـــا قبـــل العـــرب ترعاهـــا

وحداء الإبل: فهو الغناء للإبل وهي تشرب أو تسير لأن الإبل تستعذب الشرب وتستحب السير على صوت الحداء. ومما حكى عن تأثير الحداء على الإبل أن أميرا مر بشيخ عرب فرأى عبدا مقيدا بالحديد فقال الأمير ما الذي جناه هذا العبد حتى استحق هذا الجزاء فقال الشيخ اتبعني وأخذه

obeikandl.com

إلى مراح الإبل فرأى الإبل متعبة منهوكة لا تستطيع حراكا. فقال للعبد غن لها فغنى فنهضت الإبل لساعتها متحمسة كأن لم يكن بها شيء. فقال الشيخ هذا العبد أتى بالإبل من مكان بعيد وهي تحمل أثقالا وأخذ يغني لها حتى ضاعفت سيرها فصارت إلى هذه الحال ولكل قبيلة مقاطيع في الحداء تختلف فيها عن الأخرى.

غناء الرقص: وغناء الرقص ثلاثة أنواع: الدحية، والمسامر، المشرقية.

الدحية:

أما الدحية فهي أعظم تسلية للبدو في باديتهم. فإذا اجتمع البدو للدحية وقف المغنون صفا واحدا وبينهم شاعر أو أكثر يعرف بالبداع يرتجل الشعر وأمامهم غادة ترقص بالسيف تدعى الحاشية فيبدأ المغنون بقولهم الدحية الدحية يكررونها مرارا وهم يصفقون بأيديهم ويهزون رؤوسهم. ثم يبدأ البداع بالقول فكلما بدع شطرا من الشعر كرر الكل الردة يكررونها وهم يصفقون بأيديهم ويهزون رؤوسهم وأعطافهم يمينا ويسارا ويتقدمون نحو الحاشية والحاشية تتقهقر أمامهم وهي ترقص رقصهم حتى يصلوا إلى منتهى

ساحة اللعب فيقعدون القرفصاء فتقعد الحاشية مثلهم ويغنون برهة. ثم يتقهقر الرجال إلى الوراء رويدا والحاشية تتبعهم مواجهة لهم حتى يعودوا إلى حيث وقفوا أولا فيعودون إلى الرقص كما بدأوا. والبداع يبدع القول وهم يكررون الردة. وقد يكون بينهم أكثر من بداع واحد فيتناوبون القول إلى انتهاء اللعب. ثم يرقص لهم راقصتان أو ثلاث يد الواحدة في يد الأخرى.

السامر: أما السامر فنوعان الزرعة ويبدع فيها الرجال والخوجار ويبدع فيها النساء.

الزرعة: يقف الرجال فريقين في صف منحن على شكل هلال مقطوع الوسط ويقف مع كل فريق بدّاع وأمامه امرأة ترقص بالسيف تدعى حاشية أو بغير فيبدأ بداع الفرقة الأولى فيبدع بيتا من الشعر وكلما قال شطرا كرره أصحابه من بعده وكلا الفريقين يصفقون ويهزون رؤوسهم ويتقدمون نحو الحاشية كما تفعل في الدحية ثم يبدأ بداع الفريق الآخر فيبدع بيتا من الشعر ويكرره أصحابه بعده وهم يصفقون على نحو ما فعل الفريق الأول وهكذا إلى منتهى اللعب.

الخوجار: وأما الخوجار فهو على نحو الزرعة لكن النساء يقفن فيه بين صفي الرجال وفيهن شاعرتان تغني كل منهما لفريق الرجال ولا يتحركن من أماكنهن إلى عند انتهاء اللعب. ومن مقاطيع السامر:

يا طالعين البراري في سموم ورياح لا القلب ساكن هنا ولا شوقكم مرتاح

يا قلب وايش متعبك يا قلب وايش شقيك يا قلب اللي سقى عود القنا يسقيك

يا ساكنين الصحارى وبلادكم مظماه قاعد على دربكم والحلو ما يلقاه

المشرقية: أما المشرقية فهي على نحو لعب الزرعة بكل تفاصيلها إلا أن الشعراء ينشدون فيها أبياتا أطول من أبيات الزرعة ويغني بها لحن يختلف عن لحن السامر ومن مقاطع المشرقية:

اطلع تنزه ليالي العز مادامت يا أكحل العين ما أحلى دقة وشامك

اللذة: وفي شرق العريش عند الرميلات عادة تعرف باللذة وهي أنهم بعد فراغهم من السامر يأخذ كل شاب شابة من الحضور فيوصلها منزلها ثم يعود إلى منزله.

الخلاط: وفي بلاد التبه – عادة تدعى الخلاط يجتمع فيها الشبان والشابات ليلا في موعد معين قرب مخيمهم وذلك بغير علم أهلهم فيأخذون الطعام والشراب. الشبان يأتون

بالخراف والدقيق والماء والشابات يأتين بالسمن واللبن فيذبحون ويأكلون معا ويتآنسون ثم ينصرفون إلى خيامهم بدون أن تمس أعراضهم وإذا مس شاب عرض شابة في الخلاط وظهر ذلك ألزموه بتزوجها أو قتلوه.

١٢- الزواج والأفراح

وواجبات الزوجين - والأولاد

الزواج بين الأقارب: ويحب البدو الزواج المبكر والزواج بين الأقارب، وسن الزواج عندهم سن البلوغ. وأقرب قريبات الرجل التي يحل له زواجها بنت العم. فإذا بلغ الرجل تخير واحدة من بنات عمه أو من بنات قبيلته وقلما مال إلى غيرهن وإذا مال تخير من الأنساب كفؤا له إن احترام البدو للنسب عظيم.

الخطبة: والرجل يخطب البنت من أبيها أو وليها رأسا بلا واسطة أبيه. وأما البنت فإذا كانت بكرا فلا يؤخذ رأيها في خاطبها بل لابد لها من الرضى بمن رضي به أبوها أو وليها. وإذا كانت ثيبا فلابد من سؤالها ورضاها.

المهر: ومهر بنت العم من جمل إلى خمسة جمال. ومهر الأجنبية من خمسة جمال إلى عشرين جملا.

الفصلة: وإذا رضي أب البنت أو وليها بالخاطب أخذ عصا خضراء وناوله إياها وقال هذه فصلة فلانة لسنة الله ورسوله؛ إثمها وخطبتها في رقبتك من الجوع والعرى ومن أي شيء نفسها فيه وأنت تقدر عليه فيتناول الخاطب الفصلة ويقول قبلتها زوجة بسنة الله ورسوله .

البرزة: ومتى أن قدم الخاطب فصلة عروسه نصب له أهله خيمة على نحو ٥٠ مترا من خيامهم تدعى البرزة وزفوا إليها العروسة بالغناء والزغاريد.

النقوط: وأقارب العريس يقدمون له الهدايا من الغنم والقمح والدراهم على سبيل النقوط وهي دين عليه لابد له من وفائه فإذا لم يف به من نفسه طولب به.

الذبائح: ويذبح أهل العريس الذبائح من الغنم لأهل الفرح عند باب البرزة على زغاريد النساء ثم يطبخون أصناف الأطعمة المحبوبة عندهم فيأكلون ويشربون القهوة ثم يبعدون قليلا عن البرزة ويلعبون إلى ما بعد نصف الليل.

شهر العسل: وفي أثناء اللعب تخرج النساء من البرزة فيدخل العريس على عرسه ويمكث معها في البرزة من يوم إلا ثلاثة أيام والعادة عندهم أن العروس تفر من البرزة قبل

مضي ثلاثة الأيام الأولى ويتبعها العريس ويقيم معها في الخلاء بعيدا عن مخيم قومه. وأهله يرسلون لهما الطعام مدة أسبوع إلى شهر. وفي أثناء ذلك ينصبون لهم الخيام بجانب خيامهم ويفرشونها بالفرش والغفور وغيرها ثم يذهب أحدهم ويأتي بهما إلى منزلهما الجديد.

معاملة الزوجة لزوجها: والمرأة لا تأكل مع زوجها على مائدة واحدة حياء ولا تناديه باسمه بل تناديه باسم ولده البكر ذكرا كان أو أنثى فتقول يا أبا فلان أو يا أبا فلانة وإذا لم يكن له ولد نادته باسم أبيه وتحلف المرأة برأس أبيها لا برأس زوجها وبذراع ولدها فتقول من رأس أبي أو من ذراع ولدي أو تقول وحياة صعوفي أي أولادي.

الصبي والبنت: وأهل البادية كأهل الحضر يفرحون للصبي ويتكدرون للبنت وليس عندهم مولدات بل المرأة تولد نفسها أو تولدها أقرب قريباتها. وقد تلد البدوية وهي سائرة في الطريق ولا رفيق معها فتلف ولدها بمزفر وتستأنف السير إلى أن يقبل أهلها.

المزفر: أما المزفر فهي خرقة مربعة مستطيلة من شعر يشد إلى كل طرفيها عود ويعقد الطرفان بحبل فإذا سارت الوالدة جعلت ولدها بالمزفر وعلقته برأسها.

البدوية والحضر: على أن بنات البدو يأنفن بالتروج بالحضر حبا بالبداوة وحريتها وأخبرني حضري تزوج ببدوية فكانت تمل الإقامة في الحضر وتقول يابا محمد اسرح في الخلا. فتذهب إلى أهلها وتقيم عندهم أياما ثم تعود إليه ومن البدويات من لا يمكن إقناعهن بالتزوج بالحضر. وفي شرع العرب أنه إذا بقيت البنت مصرة على رفض زوجها سنة بطولها حل للقاضي طلاقها.

واجبات الزوجين: ولكل من الزوجين واجبات قررتها العادات والتقاليد.

أما الزوجة. فعليها غزل شعر الصوف وحياكة الخيام والإخراج والغرائر والفرش وجلب الماء من الآبار والعيون والحطب من الأودية وطحن الحبوب والعجين والخبز وحلب الإبل والأغنام والخض استخراج الزبدة من اللبن ورعي الأغنام عند الاقتضاء.

أما الزوج. فواجبه رعي الإبل وجلب الغلال والغنم وأحجار الرحى والفحم والغربال الصاج والحمار ومن الثياب على قدر الطاقة. فإذا قصر أحدهما بشيء من واجباته نحو رفيقه ألزمه العقبى به كما سيجيئ.

أحب خصال الزوجة: وأحب خصال الزوجة عند البدو هي التي اشتهرت بأنها لم تكن تنام قبل رجوع زوجها إلى منزله. ولم تكن توليه ظهرها مادامت في حضرته بل إذا أحبت الانصراف توليه وجهها وترجع القهقري. ولم تكن تفترض شيئا من جارتها مهما اشتدت حاجتها إليه. ولم تكن تحضر السامر ولا الدحية وما قالت لزوجها لا طول عمرها بل كانت تطيعه بكل أمر وما زارت أهلها قط إلا برأيه وإرادته. وما استطاع أحد من الطائشين أن يراودها قالوا وكان زوجها يحبها حبا جما.

ختان الأولاد:

وهم يختنون أولادهم صبيانا وبناتا. البنات في سن الثامنة إلى العاشرة والصبيان في سن السادسة إلى الثانية عشرة. أما البنات فختان السنة لا ختان فرعون وتختنهن أمهاتهم

وقريباتهن أو نساء الغجر الماهرات بهذه الصناعة وذلك على انفراد بلا احتفال.

ختان الصبيان والاحتفال به: أما الصبيان فيحتفل بختانهم احتفالا أعظم من الاحتفال بزواجهم. ويحتفل في الغالب بختان جماعة من الصبيان في وقت واحد. فإذا أراد أحدهم ختان ابنه أعلن أهل قبيلته عن المكان والزمان الذي ينوي الختان فيهما فيجتمع أفراد القبيلة في الميعاد وتضرب الخيام وكل من أراد ختان ابنه رفع راية بيضاء فوق خيمته. ثم تضرب خيمة شرقي المخيم تدعى خيمة الطهور ترفع فوقها راية بيضاء وتقام الأفراح من يوم إلى سبعة أيام يتسابق فيها الرجال على الخيل أو الإبل نهارا ويرقصون ويسمرون ليلا. وفي عشية يوم الختان يذبح أهل الصبيان المراد ختانهم الذبائح من الإبل أو الضأن أو الماعز ويطبخون أنواع الأطعمة ويوزعونها على الخيام وتغني النسام في كرم صاحب الوليمة وفي صباح يوم الختان يتسابق الرجال سباقا عاما على الخيل أو الهجين وفي الضحى يركبون الصبيان المراد ختانهم على الإبل ويطوفون بهم حول الخيام والنساء وراءهم يزغردن لهم

ويغنين. ثم يدخلون الصبيان إلى خيمة الطهور ويأتي الشلبية المنوط بهم الختن ويبدأون في الختن الظهر. وإذ ذاك يقف الرجال أمام باب الخيمة والنساء من ورائهم. وكل امرأة يختن ولدها تجعل ظهرها حجر الرحى والسيف في يها تضرب بقفاه الخيمة دفعا للعين الشريرة فعندما يقطع الشلبي غلفة ولدها يناديها ولها لعينك يا أماه ارمي حجر الرحى عنك ولك ناقتي فتزغرد له ثم يلتفت إلى عمه ويقول لعينك يا عماه فإذا كان لعمه بنت تناسبه علم أن الولد يخطب بنته فيجيبه مرحبا بك بفلانة جاءتك عطاء وإن لم يكن له بنت قال مرحبا بك لك الناقة الفلانية أو لك رأس معز أو ضأن هدية أو نقوطا.

طعمة البارودة: وبعد ختن الأولاد يعلقون برؤوس الذبائح في أوتاد على بعد ٤٠ إلى ١٠٠ خطوة حسب قوة بنادقهم ويتبادرون في رميها بالرصاص. ويبدأ بالرمي أهل الفرح ثم الحضور وكل منهم يطلق رصاصة واحدة فإن من أصاب رأسا أخذه وأخذ فخذا من اللحم. وكذلك يفعلون في ذبائح الأفراح. ويسمى هذا الكسب عندهم طعمة البارود.

١٣- الديانة عند البدو

يعترف البدو بالإسلام دينا ولكن قليل منهم من يعرف قواعد الإسلام وكثير منهم لا يعرف قواعد الصلاة ويحتفلون جيدا بعيد الضحية ومولد النبي وبالحلف به.

الأولياء الصالحون:

الأنبياء: ولهم في باديتهم قبول أولياء يعدون بالعشرات يحترمونهم الاحترام الديني ويحلفون بهم وينذرون لهم النذور ويزورونهم كل سنة في المواسم وعند زيارتهم ينيرون قبورهم ويذبحون للأنبياء منهم جملا ولسائر الأولياء رأس ضأن أو ماعز. وفي صحراء سيناء أنبياء كثيرون منهم مثلا النبي هارون والنبي صالح والنبي أبو طالب ومناجاة النبي موسى وكلهم في وسط بلاد الطور.

الضريح: ومن الغريب أن البدو مع شدة اعتقادهم بأوليائهم تراهم لا يعرفون لهم أصلا ولا فصلا إلا القليل منهم الذين دفنوا في العهد القريب والذي قبله فإن أصولهم معروفة لأن البدو كلما مات لهم شيخ يعتقدون صلاحه بنوا له ضريحا وبنوا فوق الضريح قبة أو مقاما وجعلوا للضريح قفصا من

الخشب محلى بنسيج قطني ملون وجعلوا للقفص رأسا معمما أو تركوا الضريح عطلا من البناء والقفص.

الولي والمقام والقبر: الضريح الذي فوقه قبة فهو للولي والذي فوقه كوخ مقام والذي ليس فوقه شيء فقبر.

المقابر: وهم يدفنون موتاهم بجانب أوليائهم ويزورونهم في المواسم عند زيارة الأولياء ويذبحون الذبائح فداء عنهم وأكثر مدافنهم أو كلها بالقرب من الماء.

أدوات الضيافة بجوار الأضرحة: وترى بجانب أضرحة أكثر الأولياء عريشة فيها حلة للطبخ وبكرج للقهوة وجرة للماء وباطية لعجن الدقيق وأخرى لوضع الطعام فيها وغير ذلك من الآنية التي تلزم الزوار لتحضير الطعام والشراب عند قدومهم لتقديم الذبيحة.

المشايخ في البلاد الأخرى: ولا يقتصر البدو على تكريم أوليائهم بل يكرمون أولياء جيرانهم ويعتقدون فيهم الكرامات وإن من يحلف بهم زورا لابد أن يلقى مغبة كذبه في نفسه أو ماله أو عياله.

obeikandl.com

الأولياء المفسدون:

وللبدو أولياء مفسدون يصبون عليهم الشتائم ويرمون قبورهم بالحجارة كما أن لهم أولياء صالحين يقدمون لهم الذبائح مثل مصيح المولى المفسود على درب الحج المصري وعمرى المولى المفسود على وادي الأبيض.

زيارة البحر:

وعند بعض البدو في الشرق عادة قديمة جدا في تقديم الذبائح للبحر تشبه أن تكون وثنية وذلك أنهم كل سنة بعد الربيع يزورون البحر بخيامهم ومعهم خيلهم وإبلهم وغنمهم فيغسلونها بالبحر ثم يذبحون الذبائح ويرمون رؤوس الذبائح وأرجلها وجلودها في البحر ويقولون عند رميها هذا عشاك يا بحر ويطبخون باقي اللحم فيأكلون منه ويطعمون المارة.

زيارة الشجر:

ونساء البدو يكرمون بعض الأشجار ويزرنها ويعلقن في أغصانها قطعا من النقود القديمة والحديثة والمسايير والخرز وحب العدس وفي بعض أغصانها أباريق الزيت. وبعض نساء البدو يندرون لهم الندور. وقد يرجع ذلك لأن شجرة ظليلة في الصحراء المحرقة من أكبر النعم.

الروح الديني:

والروح الديني في البدو لا يزال على الفطرة فإذا وقع أحدهم في ضيق ثم فرج عنه قبل الأرض بيده وقال يوم ما نطول سماه نقبل وطاه ويعتقد العرب أن الأرواح تجتمع في بير القدس إلى يوم الحساب فيذهب الصالحون إلى الجنة والأشرار إلى النار.

١٤- خرافات البدو

مصدر الخرافات: مصدر الخرافات الجهل ولذلك فخرافات البدو كثيرة منها:

الإصابة بالعين الحسد:

اعتقادهم في الإصابة بالعين الحسد ولذلك فهم يعلقون الخرز الأزرق في أعناق أطفالهم وإبلهم وخيلهم العزيزة عندهم لدرء العين الشريرة. وبعض شبانهم يعلقون الخرز الأزرق في مرائرهم لدرء العين.

التشاؤم: وهم يتشاءمون من رغاء الإبل. وعواء الكلب من بطنه. ومن صياح الأجرود ومن السفر أو الغزو يوم الأربعاء إذا اتفق أنه آخر أربعاء في الشهر. ويوم الخميس

obeikandl.com

إذا اتفق أنه الخامس في الشهر. ومن السفر أو الغزو إذا كان القمر في برج واحد مع العقرب.

التفاؤل: ويتفاءلون بفلح الأسنان والسفر يوم الجمعة أو الاثنين.

العرافين: ولهم عرافون يعتقدون أن لهم علما بالنجوم ونحسها وسعدها فإذا نهوهم عن سفر أو غزو انتهوا عنه وإذا بشروهم صدقوهم.

رؤية الهلال: وهم يتبركون برؤية الهلال الجديد ويهنئون بعضهم بعضا بظهوره فيقول الواحد مبارك شهركم فيجيبه الآخر لنا ولكم ويقولون عند رؤية الهلال الدعاء الآتي: ياللي سلمتنا في اللي زل سلمنا في اللي هل.

الرقى: وهم يرقون من الحية والذئب والضبع والنمر لئلا تؤذي أغنامهم. فرقية الذئب والضبع والنمر واحدة، وهي معزانا كورة كورة. عليهم قطيفة النبي منشورة، إذا جاء من الوادي لجامه هادي. وإذا جاء من العدوة لجامه هدمه.

إذا جاء من البطين رأس الجبل لجامه شريط. وفي آذانه فاس وفي خشمه فاس وفي يديه وفي رجليه فاس نرميه في البحر الدواس بينا وبينه الخلة وسمع جمال محملة غلة.

١٥- أمراض البدو وأطباؤهم

الحالة الصحية: إن جفاف الصحراء ونقاوتها يمنعان تفشي الأمراض بين أهليها وهم أنفسهم يتحصنون من الأمراض بمحافظتهم على العرض واهتمامهم بالزواج الباكر. ولو راعوا النظافة وسائر شرائط الصحة بلا مرض عمروا طويلا.

أطباؤهم والأدوية: وفيهم آل خبرة في الطب من النساء والرجال. ورأس الدواء عندهم الكي قالوا لما غضب لقمان الحكيم من الداء رماه بالنار فهم يستعملون الكي لوجع الرأس والمعدة والظهر وسائر الأمراض الباطنية وعندهم عدد ليس بقليل من الأعشاب الطبية يداوون بهم مرضاهم.

الجراحون ومداواة الجروح: وفيهم الجراحون يعالجون الجراح التي كثيرا ما يصابون بها في غزواتهم. فهم يخيطونها ويغسلونها كل يوم بمستحلب بعر الحمير أربعة أيام. ويغسلون البصل بالماء ويصفونه ويغسلون به الجراح ويسقون العليل منه لمنفع تعفن الجرح ودفع أذى الرائحة. ثم يغسلون المر بالسمن ويجعلونه دهانا فيدهنون به الجراح أربعون يوما حتى يبرأ.

الأمراض وعلاجها: ومن الأمراض التي تنتابهم بالعدوى. الجدري والحمى الوخم وهم لا يعرفون لها علاجا ولكن يبخرون المصاب بهما بشعر الضبع أو بجلد القنفد وأما الكوليرا فغير معروفة عندهم.

الأدوية ضد العقرب: وجرت عادة النساء أن يحرقن صغار العقارب ويصحنها بهون ويضعن من المسحوق على حلمات أثدائهن عند إرضاع أطفالهن تطعيما لهم حتى لا يؤذيهم لسع العقارب ويعتني بالمريض أمه وأخته وزوجته وعمته وخالته ويعوده أهل قبيلته فيقولون عساك طيب فيزول الشر فيجيب يزول. إن شاء الله .

١٦- مآتم البدو

بكاء الميت. يبكي الميت أمه وأخته وزوجته وعمته وخالته وبنت عمه. وهن يحللن شعورهن ويضعن التراب على رؤوسهن ويندبنه بقولهن يا ويلي يا حزني يا ولدي ...

وأما الرجال فلا يبكون الميت ولا يندبونه إلا نادرا ويقولون الميت لما مات عشاك أفيد منه وهم يغسلون الميت ويكفنونه ويصلون عليه قبل دفنه.

مقابر القبائل وغسل الموتى: ولكل قبيلة تربة أو ترب خاصة بهم وغالب تربهم قرب الماء وذلك لأجل غسل الميت قبل دفنه وإذا مات أحدهم بعيدا عن الماء جعلوه في غرارة وحملوه على جمل في جنب واحد وجعلوا ما يوازنه حجارة في الجنب الآخر وأتو به إلى الماء وغسلوه وكفنوه وإذا تعذر عليهم جلب الماء والمصلى دفنوه بلا غسل ولا صلاة وهم يفضلون دفن موتاهم في التربة المدفونة فيها أولياؤهم.

القبر: القبر عندهم حفرة واسعة في إحدى جانبيها حفرة ضيقة. يضعون الميت في الحفرة الضيقة على جنبه الأيمن متجها نحو الكعبة. ويسدونها بالحجارة ثم يردمون الحفرة الواسعة ويدل على القبر حجر فوق رأس الميت وحجر فوق قدميه أو فرشه من الحصى فوق القبر كله.

ثياب الميت: وهم يجعلونه بدلة من ثياب الميت فوق قبره فتبقى حتى تبلى أو يأخذها عابر سبيل وفي بلاد الطور يعقلون بدلة من ثياب الميت في شجرة ويضعونها على صخرة فوق التربة ويقولون عند الدفن يا رحيم. يا رحيم.

obeikandl.com

ارحم القبر المقيم ويكررون ذلك مرارا ويقولون عند رأس الميت شجرة الدر عمتك وأمك النخلة .

الحداد والصدقة: أما الحداد على الميت فالرجال لا نصيب لهم فيه. وأما النساء فيحددن من أربعين يوما إلى سنة كاملة لا تلبس فيها الحلي ولا جديد الثياب. ويخلعن البراقع ويتمثلن بخرقة سوداء أو يغشين البرقع كله بالسواد وينقطعن عن الأفراح والمآدب ثم في ليلة جمعة من شهر رمضان يذهب أهل الميت نساء ورجالا إلى القبر ويذبحون ذبيحة جملا أو رأس ماعز تصدقا على نفس الميت. يجعلون اللحم عند القبر ويذبحون ذبيحة جملا أو رأس ماعز تصدقا على نفس الميت. يجعلون اللحم عند القبر ويقولون هذا عشاك ودع فلان وفلان من الذين ماتوا قبله أو بعده يأكل معك وكذلك يقدمون في نهاية السنة ذبيحة ناقة أو رأس ماعز ويتصدق بها على الفقراء.

١٧- سلام البدو ومجالسهم

السلام: إذا التقى بدوي ببدوية من أقاربه أحنى لها رأسه فتقبله في جبينه وتصافحه وإذا دخل بدوي على صديق له في مجلس وقف له ثم أدنى رأسه من رأسه حتى يمس

حاجبه الأيمن حاجب صديقه الأيمن ويسرع بقبلة في الهواء ثم يجلسان على الأرض ويدور بينهما السلام بخجل وكلمات فيسأله عن حاله وصحته وعن أولاده وحالة الربيع والزراعة وإذا التقى صديقان في الطريق دار بينهما السلام ولا يخرج عما سبق ذكره ثم يودعه بقوله أودعتك الله. الله يسهل عليك فالك حسن.

تحية الحكام: وإذا قابلوا حاكما أو كبيرا رفع الواحد منهم يده مبسوطة وضربها في الهواء مرتين إشارة إلى السلام.

الاجتماع في المجالس: وإذا اجتمع البدو في مجلس قعدوا مربعين على الأرض أو على الفرش وقد يجلسون ركعا على الركب كركوعهم للصلاة أو يجلسون على ركبة واحدة.

النساء: أما النساء فلا يجلسن في مجالس الرجال ولا يقعدن مجالس بينهن كالرجال بل تزور البدوية جارتها وقتا كثيرا ثم تعود إلى خيمتها.

وإذا كانت المرأة راكبة ومرت بمجلس رجال ترجلت ومشت على قدميها.

وهي إذا ركبت الإبل على الغبيط بل تركب على صلب الجمل. وأما إذا ركبت الحمير ركبت ركوب الرجال.

١٨- السفر والرحيل

أحب شيء للبدوي هو الغزو والسفر على حد قولهم.

لشرط البداوة كل يوم مغزى وعز البداوة كل يوم رحيل

وإذا عزم البدوي على السفر أحضر الجمل والماء والدقيق والدخان والقهوة أو الشاي فإذا نزل في مكان عقل جمله وتركه يرعى ثم أوقد النار وشرب الدخان والقهوة وعمل قرص الخبز وإذا سار ماشيا حمل مخلاه على ظهره بها الدقيق وقربة ماء في يده وسار ماشيا.

obeikandl.com

ملحق الصور

erikanalog.com

قائمة المراجع

١-شريعة الصحراء – عادات وتقاليد /اللواء رفعت الجوهري.

٢-كتيب الواحات والصحراء بمصر – إعداد وزارة السياحة.

٣-بانوراما سيناء إصدار الهيئة العامة للاستعلامات.

٤-السمات البيئية والتراثية لجنوب سيناء لاستلهام أعمال فنية صغيرة في مجال التصوير "ماجستير" إعداد سمير عوض محمد.

٥-الصحاري – تأليف محمد محمود الصياد.

obeikandl.com

مؤلفة الكتاب في سطور

الاسم: دكتورة ناهد نصر الدين عزت

المؤهل: دكتوراه فلسفة يونانية وعلم جمال بمرتبة الشرف الأولى – كلية الآداب – جامعة القاهرة ٢٠٠٤.

- دبلوم عامة في التربية كلية الدراسات العليا للتربية جامعة القاهرة عام ١٩٩٠

الأنشطة: * عضو بالعديد من المؤسسات والجمعيات الأهلية

- الاتحاد العربي للمرأة المتخصصة – فرع مصر.
- الاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات.
- الجمعية الفلسفية المصرية.
- الجمعية المصرية للمكتبات والمعلومات
- جمعية سياحة مصر وتنمية البيئة.
- عضو مجلس إدارة نقابة المصريين المستقلة للمؤلفين والمبدعين.

*** المشاركة بالعديد من البحوث والدراسات في المؤتمرات والندوات داخل وخارج مصر وكذلك اللقاءات الإذاعية والتليفيزيونية في مجال الدراسات الإنسانية والفلسفية**

obeikandl.com

والفنون والآداب وعلم الجمال وعلم المكتبات ونظم المعلومات والدراسات التربوية والتقويم.

* إعداد ٣٠حلقة تلفزيونية رمضانية عن الضيافة المصرية بقناة لايت سينما عام ٢٠١٤.

* التدريب في مجال التنمية البشرية منذ عام ٢٠٠٤ في العديد من محافظات مصر.

*عمل نشاط وتنمية مجتمعية في مدينة نويبع للمرأة والطفل والشباب والنشئ منذ عام ٢٠١٢ حتى الآن.

* رئاسة القطاع الثقافي بالاتحاد العربي للمرأة المتخصصة.

***رئاسة الصالون الثقافي بالاتحاد العربي للمرأة المتخصصة.**

❖ **صدر للمؤلفة العديد من المؤلفات منها:**

- توظيف القيم الفلسفية في تدعيم الانتماء لدى الشباب طبع الهيئة العامة للكتاب عام ٢٠٠١.
- الرؤية النقدية عند انتصار العقيل "دراسة عن إبداع المرأة العربية" – المكتبة المصرية عام ٢٠٠٧.

obeikandi.com

- التأمل والإبداع في فلسفة أفلوطين الجمالية مكتبة بستان المعرفة عام ٢٠٠٩.
- مفهوم الفانتازيا في أعمال أفلاطون وأرسطو مكتبة بستان المعرفة عام ٢٠١٠.
- القيم الأخلاقية وأثرها في تدعيم العالم الإسلامي المكتبة المصرية عام ٢٠١٤.
- سلسلة تنمية الذات:

- الطريق على بناء الذات – دار المشرق العربي ٢٠١٧.
- كن مبدعاً – دار المشرق العربي ٢٠١٧.
- كن إيجابياً – دار المشرق العربي ٢٠١٧.

- تحت الطبع:
  - موسوعة بناء الشخصية الإيجابية في مجال الجمال – الإبداع – الحب – الطاقة الإيجابية.
  - سيناء أرض الفيروز – الكنز المجهول.

obeikandl.com

- الصحاري المصرية بين السحر والجمال التراث والثقافة في الحياة البدوية والعادات والتقاليد.

- سلسلة قصص تعليم الأطفال: "حكايات الجدة نونة"
- الجوائز: حصلت الكاتبة على العديد من الجوائز منها:

- جائزة التميز من جامعة القاهرة عام ١٩٨٣، ٢٠٠٣.
- درع وزارة السياحة عام ٢٠١٣.
- تكريم السيد اللواء محافظ جنوب سيناء عام ٢٠١٣ وعام ٢٠١٤.
- أحسن كتاب " توظيف القيم الفلسفية في تدعيم الانتماء لدى الشباب" عام ٢٠٠١،
- أحسن كتاب "الرؤية النقدية عند انتصار العقيل" عام ٢٠٠٧.

obeikandl.com

الفهرس

المحتوى	الصفحة
مقدمه	٢
جاذبية الصحراء	٥
الرحلة في الصحراء	٦
طبيعة الأرض	٧
مرحباً بكم في الصحراء	١١
الحياة البرية في الصحراء	١٣
مستكشفى الصحراء	١٤
التوقيت في الصحراء	١٥
التقاليد في الصحراء	١٥
تراث وثقافة البدو وعاداتهم	١٩
أخلاق البدو وأهم صفاتهم	٢٠
عادات البدو	٢٣
أثاثهم	٢٥
حياة البدو في مخيمهم	٢٨
الضيافة في مخيم البدو	٣٠
ملابس البدو وأسلحتهم	٣٠
لبس النساء	٣٤

obeikandl.com

طعام البدو	٣٦
شراب البدو	٣٩
معارف البدو وعلومهم	٤١
تجارة البدو	٤٣
صناعات البدو	٤٤
الزراعة عند البدو	٤٧
الشعر والفناء والرقص	٤٩
الزواج والأفراح	٥٣
ختان الأولاد	٥٧
الديانة عند البدو	٦٠
خرافات البدو	٦٣
أمراض البدو وأطباؤهم	٦٥
مأتم البدو	٦٦
سلام البدو ومجالسهم	٦٨
السفر والرحيل	٧٠
ملحق الصور	٧١
قائمة المراجع	٧٥
مؤلفة الكتاب في سطور	٧٦

obeikandl.com